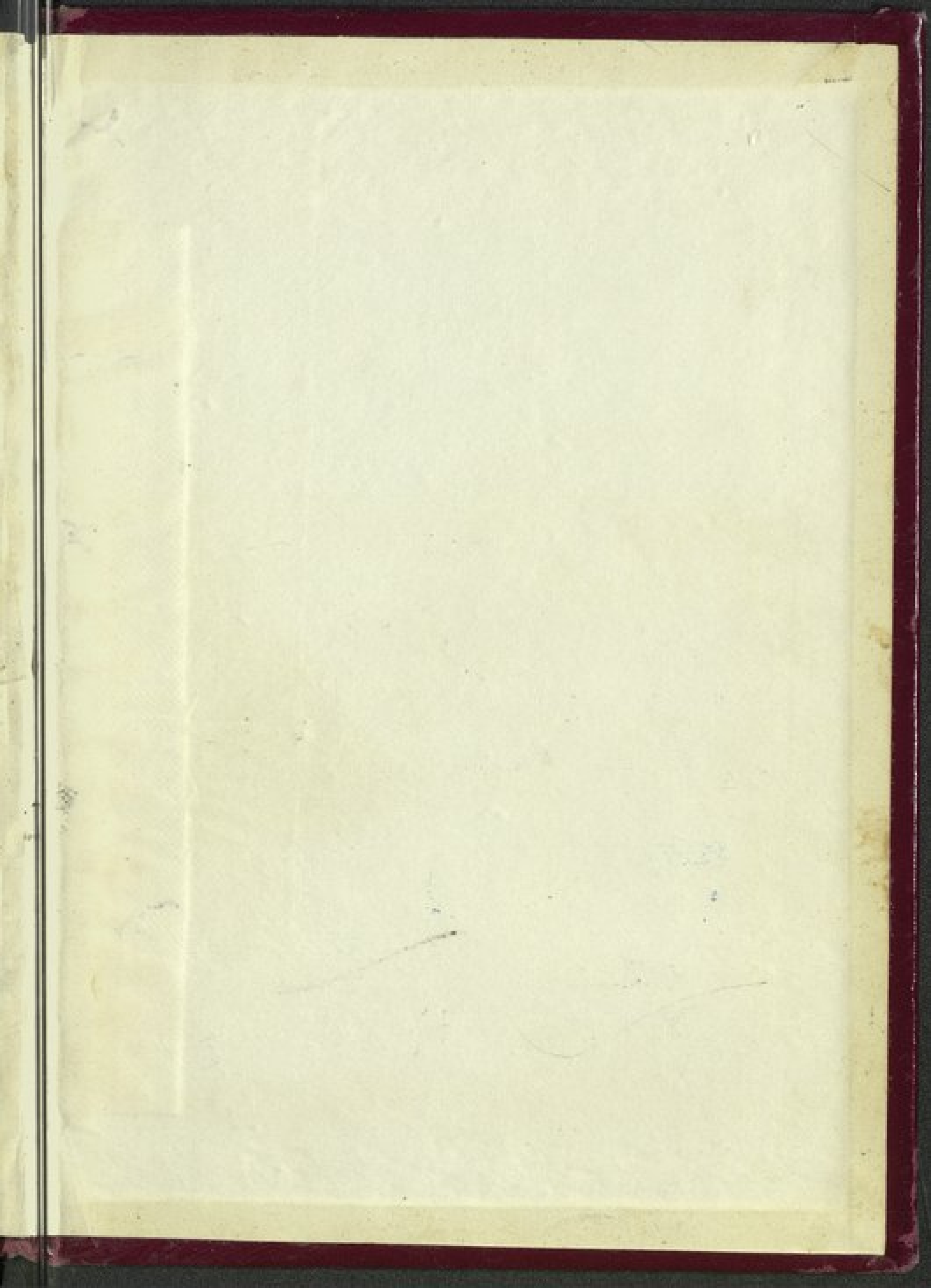
ابن تيمية الحراني

عقيدة أهل السنة



٦٥ صفحة　　　الصفحة ١٩ سطر

١ - ٤
٥
١
٦
٩
١٠
١٢
١٠
١
٥
٥
٦　٧٩
٥
٢
١٢
٢
٤
١٢
٢
١
١
١٠
١٦
١
٧　٦٣

٢ - ٤
١
١
١
٦
١٠
٢٧
٧٩
٦٣
١٦٤ / ١٩
١٥٢　٩
٨

٦٥
٩,٥
٥٥/٥
١٩
٤٩٩٥
٥٥٥
٥/٧٥٤٥
١١
٧٥٤٥
٧٥٢٥
٥/٨٢,٧٩

عقيـــدة أهل السنة

والفرقة الناجية

تأليف

شيخ الاسلام ، وبركة الأنام ، الشيخ

أحمد بن تيمية الحرانى

رحمه الله تعالى

ولا زالت سحائب الغفران عليه تتوالى

علق عليه فضيلة الأستاذ الشيخ

عبد الرزاق عفيفى

المدرس بمعهد شبين الكوم

١٣٥٨ هـ

مطبعة أنصار السنة المحمدية

بمصر : عابدين ؛ ١٠ حارة الدمالشة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ رحمه الله تعالى :

من أحمد بن تيمية إلى من يصل اليه هذا الكتاب من المسلمين المنتسبين الى السنة والجماعة ، المنتمين الى متابعة الشيخ العارف ، القدوة عدى بن مسافر الأموى رحمة الله عليه ، ومن نحا نحوهم ، وفقهم الله تعالى لسلوك سبيله وأعانهم على طاعته وطاعة رسوله ، وجعلهم معتصمين بحبله المتين ، مهتدين لصراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وجنبهم طريق الضلال والاعوجاج ، الخارجين عما بعث الله به رسوله من السنة والمنهاج ، حتى يكونوا ممن أعظم الله عليه المنة بمتابعة الكتاب والسنة

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ، فانا نحمد اليكم الله الذى لا إله إلا هو على نعمه ، وهو للحمد أهل وهو على كل شىء قدير ؛ ونسأله أن يصلى على خاتم النبيين وسيد ولد آدم ، وأكرم الخلق على ربه وأقربهم اليه زلفى ، وأعظمهم عنده درجة محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

أما بعد ، فان الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ، وأنزل عليه الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، وأكمل له ولأمته الدين وأتم عليهم النعمة ، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس ، فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله ، وجعلهم وسطا أى عدلا خياراً ، وكذلك جعلهم شهداء على الناس ؛ هداهم لما بعث به رسله جميعهم من الدين الذى شرعه لجميع خلقه ، ثم خصهم بعد ذلك بما ميزهم به وفضلهم من الشرعة والمنهاج الذى جعله لهم

فالأول مثل أصول الإيمان ، فأعلاها وأفضلها هو التوحيد وشهادة أن لا إله الا الله ، كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ماتدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب) وقال تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم ، وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون)

ومثل الايمان بجميع كتب الله وجميع رسله كما قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) وقوله تعالى (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم) ومثل قوله (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ؛ وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير . لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ؛ ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ؛ أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)

ومثل الايمان باليوم الآخر وما فيه من الثواب والعقاب ، كما أخبر الله عن إيمان من تقدم من مؤمنى الأمم به حيث يقول (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون)

ومثل أصول الشرائع كما ذكره فى سورة الأنعام والأعراف وسبحان [1] وغيرهن من السور المكية من أمره بعبادته وحده

---

(١) يشير إلى قوله تعالى (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا بالله شيئا وبالوالدين إحسانا الآيات — الأنعام) والى

لاشريك له وأمره ببر الوالدين وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والعدل في المقال وتوفية المكيال والميزان واعطاء السائل والمحروم وتحريم قتل النفس بغير حق وتحريم الفواحش ماظهر منها وما بطن وتحريم الأثم والبغي بغير حق وتحريم الكلام في الدين بغير علم، مع مايدخل في التوحيد من اخلاص الدين لله، والتوكل على الله، والرجاء لرحمة الله والخوف من الله، والصبر لحكم الله، والتسليم لأمر الله، وأن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد من أهله وماله والناس أجمعين إلى غير ذلك من أصول الايمان التي قد أنزل الله ذكرها في مواضع من القرآن كالسور المكية و بعض المدنية .

وأما الثاني مما أنزل الله تعالى في السور المدنية من شرائع دينه وما سنه الرسول ﷺ لأمته فان الله سبحانه أنزل عليه الكتاب والحكمة وامتن على المؤمنين بذلك وأمر أزواج نبيه بذلك فقال (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم) وقال تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو

قوله تعالى قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والأثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وقوله (يشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون الآيات — الاعراف) و إلى قوله تعالى (وقضى ربك الا تعبدوا إلا اياه) إلى قوله (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) وقوله (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه الايات — سبحان)

عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة) قال غير واحد من السلف : الحكمة هى السنة ، لأن الذى كان يتلى فى بيوت أزواجه سوى القرآن هو سنة رسول الله ﷺ ولهذا قال ﷺ « الا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه » وقال حسان بن عطية : كان جبريل عليه السلام ينزل على النبى ﷺ بالسنة كما ينزل بالقرآن فيعلمه إياها كما يعلمه القرآن

وهذه الشرائع التى ميز الله بها هذا النبى وأمته مثل الوجهة والمنسك والشرعة والمنهاج ، وذلك مثل الصلوات الخمس فى أوقاتها بهذا العدد وهذه القراءة والركوع والسجود ، واستقبال البيت الحرام ومثل فرائض الزكاة ونصبها التى فرضها فى أموال المسلمين من الماشية والحبوب والثمار والتجارات والذهب والفضة ومن جعلها له حيث قال (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها . الآية) ومثل صيام شهر رمضان ، ومثل حج البيت ، ومثل الحدود التى حدها فى المناكح والمواريث والعقوبات والمبايعات ، ومثل السنن التى سنها لهم من الأعياد والجمع والجماعات فى المكتوبات ، والجماعات فى الكسوف والاستسقاء ، وصلاة الجنائز ، والتراويح وما سنه لهم فى العادات مثل المطاعم والملابس والولادات ونحو ذلك من السنن والآداب والأحكام التى هى حكم الله ورسوله بينهم فى الدماء والأموال والأبضاع والأعراض والمنافع والأبشار وغير ذلك من الحدود والحقوق إلى غير ذلك مما

شرعه لهم على لسان رسوله ﷺ وحبب اليهم الايمان وزينه فى قلوبهم وجعلهم متبعين لرسوله وعصمهم أن يجتمعوا على ضلالة كما ضلت الأمم قبلهم إذ كانت كل أمة إذا ضلت أرسل الله رسولا اليهم كما قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (وان من أمة إلا خلا فيها نذير) ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء لانبى بعده فعصم أمته أن تجتمع على ضلالة ، وجعل فيها من تقوم به الحجة إلى يوم القيامة ، ولهذا كان اجماعهم حجة (١) كما كان الكتاب والسنة حجة

---

(١) استدل المؤلف لثبوت حجية الاجماع بأن سنة الله فى الأمم الماضية أنه إذا ضلت أمة وخرجت عن نهج نبيها أرسل اليهم رسولا ليهديهم إلى الحق كى تقوم الحجة وتنقطع المعاذير . ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين لانبى بعده عصم الله أمته أن تجتمع على ضلالة وجعل فيهم من تقوم بهم الحجة إلى يوم القيامة ليكون ذلك قائما مقام تجديد الرسالة كافيا عنها . وأشار أيضا إلى أحاديث تعضد هذا وهى إن أمتى لا تجتمع على ضلالة وهذا وإن لم يصح لفظه وسنده ولكن صح معناه للأحاديث الآتية وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطى ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لايضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » رواه البخارى . وروى مسلم عنه صلى الله عليه وسلم « لاتزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون على الناس » ، وورد

ولهذا امتاز أهل الحق من هذه الأمة بالسنة والجماعة من أهل الباطل الذين يزعمون أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن مامضت عليه جماعة المسلمين ، فان الله تعالى فى كتابه أمر باتباع سنة رسول الله ولزوم سبيله ، وأمرنا بالجماعة والائتلاف ، ونهى عن الفرقة والاختلاف ، فقد قال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) وقال تعالى (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) وقال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقال تعالى (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء) وقال تعالى (ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءتهم البينات) وقال تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءتهم البينة . وما أمروا الا ليعبدوا الله

فى هذ المعنى احاديث كثيرة ودل القرآن أيضا على ذلك قال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)

ولكن كل هذا فرع وجود اجماع وامكان وهو ممنوع لاختلاف الناس فى طبائعهم واستعدادهم وحاجاتهم وتباعد أماكنهم وما بلغهم من علم الشرائع الى غير ذلك من أمور الاختلاف بينهم ومع ذلك لايكون من السهل الحكم بثبوت اجماع الامم الا فى ضروريات الدين وعلمها من الدين بالنصوص يغنينا عن دعوى الاجماع فيها

مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيّمة) وقال تعالى (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) وقال تعالى فى أم الكتاب (اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) . وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال « اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون [1] »

فأمرنا سبحانه وتعالى فى أم الكتاب التى لم ينزل فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها ، التى أعطيها نبينا ﷺ من كنز تحت العرش ، التى لا تجزى صلاة الا بها ، وقد أمرنا أن نسأله أن يهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعم عليهم

---

[1] روى ابن جرير فى تفسيره أن عدى بن حاتم سأل النبى ﷺ عن قول الله عز وجل (غير المغضوب عليهم) قال هم اليهود . وروى عنه أيضا أنه سأله عن قول الله (ولا الضالين) قال النصارى هم الضالون . وروى أيضا أن النبى عليه الصلاة والسلام قال لعدى ان المغضوب عليهم اليهود ؛ وقال له أيضا ان الضالين هم النصارى وفى كنز العمال أن النبى ﷺ قال لعدى « ياعدى ما أفرك أن يقال لا اله الا الله فهل من إله الا الله ؟ ما أفرك أن يقال الله أكبر فهل من شىء هو أكبر من الله ، إن المغضوب عليهم اليهود وان الضالين النصارى » رواه أحمد والطبرانى فى الكبير

من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، الذين هم غير المغضوب عليهم كاليهود والضالين كالنصارى .

وهذا الصراط المستقيم هو دين الله المحض ، وهو ما في كتاب الله وهو السنة والجماعة ، فان السنة المحضة هي دين الاسلام المحض فان النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه من وجوه متعددة رواها أهل السنن والمسانيد كالامام احمد وابى داود والترمذي وغيرهم انه قال «ستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة ألا وهي الجماعة » وفي رواية « من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي [1] » فهذه الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة هي وسط

---

(١) بين المؤلف توسط الملة الحنيفية التي جاء بها خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام بين الملتين اليهودية والنصرانية بعد جناية التحريف والتبديل عليهما بذكر أربعة أمور ، الأول توسطهم في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين . الثاني توسطهم في شرائع الاسلام فلم يحرموا على الله أن ينسخ مايشاء ويثبت مايشاء كما فعلت اليهود ، ولم يجوزوا لأكابر علمائهم وعبادهم أن يغيروا دين الله ويقولوا عليه مالم يأذن به الله كالنصارى ، وهذا ظاهر في أهل السنة والجماعة الذين يحكمون الأدلة في أقوال العلماء أياً كانت منزلتهم ومقدرتهم العلمية . أما أهل العصبية والتشيع لامام واحد في صوابه وخطئه من غير نظر في مستنده وخبره ، فقد سلكوا مسلك النصارى وتحقق

فى النحل كما ان ملة الاسلام وسط فى الملل ، فالمسلمون وسط فى أنبياء الله و رسله وعباده الصالحين لم يغلوا [١] فيهم كما غلت النصارى فاتخذوا (أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم) الآية ، ولا جفوا [٢] كما جفت اليهود الذين يقتلون الانبياء بغير حق و يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقا وقتلوا فريقا ، بل المؤمنون آمنوا بالله و برسله وعزروهم ونصروهم و وقروهم وأحبوهم وأطاعوهم

فيهم قول النبى ﷺ « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » أو كما قال . فنسأل الله العافية وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .
والثالث توسطهم فى صفات الله تعالى ، والرابع توسطهم فى الحلال والحرام .

(١) الغلو فى الشىء الزيادة ومجاوزة الحد فيه فالغلو فى الأنبياء إطراؤهم ومجاوزة الحد فى تقديرهم وتعظيمهم باعطائهم بعض خواص الالهية فيدعونهم مع الله و ينذرون لهم و يضرع اليهم عند الشدائد وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اطرائه فقال «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم » إلى آخر الحديث

(٢) جفا يجفو جفوا وجفاء : غلظ وقسا ومنه جفاء اليهود وغلظتهم على أنبيائهم و إهانتهم إياهم قتلا وتنكيلا

ولم يعبدوهم ولم يتخذوهم اربابا كما قال تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب و بما كنتم تدرسون)

ومن ذلك ان المؤمنين توسطوا فى المسيح فلم يقولوا هو الله او ابنه أو ثالث ثلاثة كما تقوله النصارى ، ولا كفروا وقالوا على مريم بهتانا عظيما ، حتى جعلوه ولد بغية كما زعمت اليهود ، بل قالوا هو عبد الله و رسوله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول و روح منه ، وكذلك المؤمنون وسط فى شرائع دين الله فلم يحرموا على الله أن ينسخ ما شاء و يثبت ما شاء كما فعلت اليهود كما حكى الله عنهم فى قوله (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) و بقوله (و إذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا و يكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم) ولا جوزوا لأكابر علمائهم وعبادهم أن يغيروا دين الله فيأمروهم بما شاؤا و ينهوهم عما شاؤا كما تفعله النصارى كما ذكره الله عنهم بقوله (اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله) قال عدى بن حاتم قلت يارسول الله ما عبدوهم قال « ما عبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم » و فى لفظ قال فتلك عبادتهم ، والمؤمنون

قالوا لله الخلق والأمر فكما لا يخلق غيره لا يأمر غيره ، وقالوا سمعنا وأطعنا فأطاعوا كل ما أمر الله بهوقالوا ان الله يحكم ما يريد ، وأما المخلوق فليس له أن يبدل أمر الخالق تعالى ولو كان عظيما

وكذلك فى صفات الله تعالى فان اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة فقالوا هو فقير ونحن أغنياء وقالوا يد الله مغلولة وقالوا انه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت إلى غير ذلك

والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به فقالوا انه يخلق و يرزق و يغفر و يرحم و يتوب على الخلق ويثيب و يعاقب

والمؤمنون آمنوا بأن الله سبحانه ليس له سمى ولا ند ولم يكن له كفوا أحد ، وليس كمثله شىء وكل ماسواه عباد له فقراء اليه (ان كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا)

ومن ذلك أمر الحلال والحرام فان اليهود كما قال تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم و بصدهم عن سبيل الله كثيرا الآية) فلا يأكلون ذوات الظفر مثل الابل والبط ولا شحم الثرب والكليتين ولا الجدى فى لبن امه إلى غير ذلك مما حرم عليهم من الطعام واللباس وغيرهما حتى قيل ان المحرمات عليهم ثلثمائة وستون نوعاً ، والواجب عليهم مايتان وثمانية وأربعون أمرا وكذلك شدد عليهم فى النجاسة حتى لا يؤاكلون الحائض ولا يجامعونها فى البيوت

وأما النصارى فاستحلوا الخبائث وجميع المحرمات وباشروا جميع النجاسات . وانما قال المسيح : ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ، ولهذا قال تعالى (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ـ الآية)

وأما المؤمنون كما نعتهم فى قوله تعالى (ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون و يؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى) إلى آخر الآيه

وهذا باب يطول وصفه وهكذا أهل السنه والجماعة فى الفرق فى باب أسماء الله وصفاته وسط [١] بين أهل التعطيل الذين يلحدون فى

---

(١) ذكر توسط أهل السنة والجماعة بين الفرق الأخرى ممن يدعى الاسلام وعدد لهم ذلك خمسة أمور : الأول التوسط بين التعطيل والتمثيل . الثانى التوسط فى إرادة الله وقضائه بين المكذبين و بين الضالين فى إثباته حتى حكموا بجبر العبد و يسلبون الارادة والاختيار والأولى تسمى القدرية والثانية الجبرية . الثالثة التوسط فى الوعيد بين الخوارج والمعتزلة الذين يقولون بتخليد عصاة المؤمنين فى النار لكفرهم أو لأنهم خرجوا من الاسلام ولكن لم يدخلوا فى الكفر و بين المرجئة الذين يقولون لايضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة فيسوون بين جميع المؤمنين فى إيمانهم و يحكمون بعدم تعذيب عصاة المؤمنين . والرابع التوسط فى صحابة رسول الله بين الغالية فى علىّ حتى جعلته إلها أو فضلته على الخليفتين و بين الجافية

أسماء الله وآياته و يعطلون حقائق ما نعت الله به نفسه حتى يشبهونه بالعدم والموت و بين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثال و يشبهونه بالمخلوقات ، فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل وهم فى باب خلقه وأمره وسط بين المكذبين بقدر الله الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه لكل شىء و بين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل فيعطلون الأمر والنهى والثواب والعقاب فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء) فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شىء قدير فيقدر أن يهدى العباد و يقلب قلوبهم وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فلا يكون فى ملكه مالا يريد ولا يعجز عن انفاذ مراده وانه خالق كل شىء من الأعيان والصفات والحركات

و يؤمنون بأن العبد له قدرة ومشيئة وعمل ، وأنه مختار ولا يسمونه مجبوراً ، إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره ، والله سبحانه وتعالى جعل العبد مختاراً لما يفعله فهو مختار مريد ، والله تعالى خالقه وخالق اختياره وهذا ليس له نظير فان الله ليس كمثله شىء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله

التى كفرته . الخامس التوسط فى باب العمل بكتاب الله وسنة رسول الله

وهم فى باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين فى النار ويخرجونهم من الايمان بالكلية ويكذبون بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم فيهم ، وبين المرجئة الذين يقولون ايمان الفساق مثل ايمان الانبياء ، والاعمال الصالحة ليست من الدين والايمان ، ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية

فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الايمان وأصله وليس معهم جميع الايمان الواجب الذى يستوجبون به الجنة ، وانهم لا يخلدون فى النار بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال حبة من الايمان ومثقال خردلة من ايمان ، وان النبى صلى الله عليه وسلم ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته ، وهم أيضا وسط بين الغالية الذين يغلون فى علىّ ويفضلونه على أبى بكر وعمر ويعتقدون انه الامام المعصوم دونهما وان الصحابة ظلموا وفسقوا وكفروا الامة بعدهم كذلك وربما جعلوه نبيا أو الها ، وبين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفروا عثمان ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما ويستحلون سبهما ويقدحون فى خلافة علىّ وامامته وكذلك فى سائر أبواب السنة هم وسط لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله وما اتفق عليه السابقون الاولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم اجمعين

فصل

وانتم أصلحكم الله قد من الله عليكم بالانتساب الى الاسلام الذى هو دين الله وعافاكم مما ابتلى به من خرج عن الاسلام من المشركين وأهل الكتاب ، والاسلام أعظم النعم وأجلها ، فان الله تعالى لا يقبل من أحد دينا سواه قال الله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) وعافاكم بانتسابكم إلى السنة من أكثر البدع المضلة مثل كثير من بدع الروافض والجهمية والخوارج والقدرية بحيث حصل عندكم من البغض لمن يكذب بأسماء الله وصفاته وقضائه وقدره ، ويحب أصحاب رسول الله ﷺ ما هو من أهل السنة والجماعة ، وهذا من أكبر نعم الله على من أنعم الله عليه بذلك فان هذا تمام الايمان وكمال الدين

ولهذا كثر فيكم من أهل الصلاح والدين وأهل القتال المجاهدين مالا يوجد مثله فى طوائف المبتدعين ، وما زال فى عساكر المسلمين المنصورة وجنود الله المؤيدة منكم من يؤيد الله به الدين و يعز به المؤمنين ، وفى أهل العبادة والزهد منكم من له الأحوال الزاكية

والطريقة المرضية ، وله المكاشفات (١) والتصرفات ، وفيكم من أولياء الله المتقين من له لسان صدق فى العالمين

فأما قدماء المشايخ الذين كانوا قبلكم مثل الملقب شيخ الاسلام أبى الحسين على بن احمد بن يوسف القرشى العكارى و بعده الشيخ العارف القدوة عدى بن مسافر الاموى ومن سلك سبيلهما فيهم من الفضل والدين والصلاح والاتباع للسنة ما عظم الله به أقدارهم ورفع به منارهم ، والشيخ على قدس الله روحه كان من أفاضل عباد الله الصالحين وأكابر المشايخ المتبعين ، وله من الأحوال الزكية والمناقب العلية ما يعرفه أهل المعرفة بذلك ، وله فى الامة صيت مشهور ، ولسان صدق مذكور ، وعقيدته المحفوظة عنه لم يخرج فيها عن عقيدة من تقدمه من المشايخ الذين سلك سبيلهم كالشيخ الامام الصالح أبى الفرج عبد الواحد بن محمد بن على الانصارى الشيرازى الدمشقى ، وكشيخ الاسلام العكارى ونحوهما

وهؤلاء المشايخ لم يخرجوا فى الأصول الكبار عن أصول أهل

---

(١) المراد استنارة القلب وصفاء البصيرة ونفوذ الفكر واحقاق الحق وقوة الفراسة بتقوى الله والوقوف عند حدوده كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) . كما ان المراد بالتصريف تدبير الامور على مقتضى الحكمة وايقاعها حسب المصلحة ووفق النظم الدينية لا المعنى الذى يفهمه العامة وجهلة الصوفية .

السنة والجماعة ، بل كان لهم من الترغيب فى أصول أهل السنة والدعاء اليها والحرص على نشرها ومنابذة من خالفها مع الدين والفضل بل والصلاح مارفع الله به أقدارهم وأعلى به منارهم ؛ وغالب مايقولون فى أصولها الكبار جيد ، مع أنه لابد أن يوجد فى كلامهم وكلام نظارهم من المسائل المرجوحة والدلائل الضعيفة كأحاديث لاتثبت ومقاييس لاتطرد مايعرفه أهل البصيرة ، وذلك أن كل واحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ، لاسيما المتأخرين من الأمة الذين لم يحكموا معرفة الكتاب والسنة والفقه فيهما ويميزوا صحيح الأحاديث وسقيمها ، وناتج المقاييس وعقيمها ، مع ماينضم الى ذلك من غلبة الأهواء وكثرة الآراء ، وتغلظ الاختلاف والافتراق ، وحصول العداوة والشقاق ، فان هذه الأسباب ونحوها مما يوجب قوة الجهل والظلم الذى نعت الله به الانسان فى قوله تعالى (وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا) .

فاذا منّ الله على الانسان بالعلم والعدل أنقذه من هذا الظلام وقد قال تعالى (والعصر . ان الانسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وقال تعالى (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)

وأنتم تعلمون أصلحكم الله أن السنة التى يجب اتباعها ويحمد أهلها ويذم من خالفها هى سنة رسول الله ﷺ فى أمور الاعتقادات وأمور العبادات وسائر أمور الديانات ، وإنما ذلك يعرف بمعرفة

أحاديث رسول الله ﷺ الثابتة عنه فى أقواله وأفعاله ، وما ترك من فعل وقول وعمل ، ثم ما كان عليه السابقون والتابعون لهم باحسان وذلك فى دواوين الاسلام المعروفة مثل صحيح البخارى ومسلم وكتب السنن ، مثل سنن أبى داود والنسائى وجامع الترمذى وموطأ مالك ومثل المسانيد المعروفة ، كمثل مسند أحمد وغيره ، ويوجد فى كتب التفاسير والمغازى وسائر كتب الحديث جملها وأجزائها من الآثار مايستدل ببعضها على بعض . وهذا أمر قد أقام الله له من أهل المعرفة من اعتنى به حتى حفظ الله الدين على أهله .

وقد جمع طوائف من العلماء الأحاديث والآثار المروية فى عقائد أهل السنة مثل حماد بن سلمة ، وعبد الرحمن بن مهدى ، وعبد الله ابن عبد الرحمن الدارمى ، وعثمان بن سعيد الدارمى ، وغيرهم فى طبقتهم مثل مابوّب عليه البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه وغيرهم فى كتبهم ، ومثل مصنفات الأثرم ، وعبد الله بن أحمد ، وأبى بكر الخلال ، وأبى القاسم الطبرانى ، وأبى الشيخ الاصبهانى ، وأبى بكر الآجرى ، وأبى الحسن الدارقطنى ، وأبى عبد الله بن منده ، وأبى القاسم اللالكائى ، وأبى عبد الله بن بطة ، وأبى عمر الطلمنكى ، وأبى نعيم الأصبهانى ، وأبى ذر الهروى ، وأبى بكر البيهقى ، وان كان قد يقع فى بعض هذه المصنفات من الأحاديث الضعيفة مايعرفه أهل المعرفة .

وقد يروى كثير من الناس فى الصفات وسائر أبواب الاعتقادات وعامة أبواب الدين أحاديث كثيرة تكون موضوعة مكذوبة على رسول الله ﷺ ، وهى قسمان ؛ منها مايكون كلاما باطلا [١] لايجوز أن يقال ، فضلا عن أن يضاف الى النبى ﷺ ، والقسم الثانى من الكلام قد قاله بعض السلف أو بعض العلماء أو بعض الناس ، ويكون حقاً أو مما يسوغ فيه الاجتهاد ، أو مذهباً لقائله ، فيعزى الى النبى ﷺ [٢] .

وهذا كثير عند من لا يعرف الحديث مثل المسائل التى وضعها الشيخ أبو الفرج عبد الواحد بن على الانصارى الشيرازى وجعلها محنة يفرق فيها بين السنى والبدعى ، وهى مسائل معروفة عمد بعض الكاذبين وجعل لها اسنادا إلى النبى ﷺ ، وجعلها من كلامه ﷺ ، وهذا مما يعلم من له أدنى معرفة انه مكذوب مفترى

---

(١) مثل : خيركم بعد الألف من لازوجة له ، ومثل : ان الله ينزل عشية عرفة على جمل أورق فيصافح الركبان و يعانق المشاة . وسيأتى للمؤلف

(٢) مثل : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا . ومثل : المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء . ومثل : الدين المعاملة . ومثل : حب الوطن من الايمان ؛ مما اشتهر على الألسن ونسب الى النبى ﷺ وليس من كلامه بل من كلام الناس

وهذه المسائل وان كان غالبها موافقا لأصول السنة ففيها ما اذا خالفه الانسان لم يحكم بأنه مبتدع، مثل أول نعمة أنعمها الله على عبده، فان هذه المسألة فيها نزاع بين أهل السنة والنزاع فيها لفظى لأن مبناها على ان اللذة التى يعقبها ألم هل تسمى نعمة أم لا، وفيها أيضا أشياء مرجوحة، فالواجب أن يفرق بين الأحاديث الصحيحة دون الموضوعة، فهذا أصل عظيم لأهل الاسلام عموما ولمن يدعى السنة خصوصا

فصل

وقد تقدم أن دين الله وسط بين الغالى فيه والجافى عنه، والله ما أمر عباده بأمر الا اعترض الشيطان فيه بأمرين لايبالى بأيهما ظفر إما افراط فيه و إما تفريط فيه.

فاذا كان الاسلام الذى هو دين الله، الذى لايقبل الله من أحد سواه، فقد اعترض الشيطان كثيرا ممن ينتسب اليه حتى أخرجه كثير من شرائعه [1] بل أخرج طوائف من أعبد هذه الأمة وأورعها عنه حتى مرقوا منه كما يمرق السهم من الرمية، وأمر النبى ﷺ

---

(١) قوله : حتى أخرجه كثير من شرائعه فيه سقط وصوابه : حتى أخرجه عن كثير من شرائعه

بقتال المارقين منه ، فثبت عنه فى الصحاح وغيرها من رواية على وأبى سعيد وسهل بن حنيف وأبى ذر وسعد بن أبى وقاص وعبدالله ابن عمر ورافع بن عمر ورافع بن عمرو ومسعود وغير هؤلاء رضى الله عنهم أن النبى ﷺ ذكر خوارج فقال « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يقرأون القرآن لايجاوز حناجرهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، أينما لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » وفى رواية « شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه » وفى رواية « لو يعلم[1] الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد ﷺ لنكلوا عن العمل »

وهؤلاء خرجوا فى خلافة علىّ رضى الله عنه ، قاتلهم هو وأصحابه بأمر النبى ﷺ وتحريضه على قتالهم . واتفق على قتالهم جميع أئمة الاسلام . وهكذا كل من فارق جماعة المسلمين وخرج عن سنة رسول الله ﷺ وشريعته من أهل الأهواء المضلة والبدع المخالفة .

ولهذا قاتل المسلمون أيضا الرافضة الذين هم شر من هؤلاء ، وهم الذين كفروا جماهير المسلمين مثل الخلفاء الثلاثة وغيرهم ، ويزعمون

---

(١) معنى قوله : لو يعلم الى آخره أن من جاهد هذه الفرقة له أجر يقف العقل البشرى دون تقديره ، فلو علمه المجاهد لتقاعد عن العمل اتكالا على ماحظى به من جزاء جهاده

أنهم هم المؤمنون ومن سواهم كافر، ويكفرون من يقول ان الله يُرى في الآخرة، أو يؤمن بصفاته وقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة، ويكفرون من خالفهم في بدعهم التي هم عليها، فانهم يمسحون القدمين دون الخفين [1]، ويؤخرون الفطور والصلاة الى طلوع النجم، ويجمعون بين الصلاتين من غير عذر، ويقنتون في الصلوات الخمس ويحرمون الفقاع وذبائح من خالفهم من المسلمين لأنهم عندهم كفار،

---

(١) أي من الوضوء، يستدلون لذلك بقوله تعالى (وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين) على قراءة الجر عطفا على مدخول الباء، وأما قراءة النصب فيؤولونها بجعل أرجلكم معطوفة على الجار والمجرور، فانه في محل المفعول للفعل قبله، ولكن يمنع من ذلك قول النبي ﷺ «ويل للأعقاب من النار» وقد رأى أصحابه يمسحون أعقابهم. وأيضا لو كان المسح على القدمين من غير الخف مشروعا عنه ﷺ لعمل به ولو مرة، فانه القائل «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه» وهو الجدير بأن يكون عند ما يحب الله، ولم يثبت قول على صحة ما ذهبوا اليه. والصواب من القول بيان الآية بعمل النبي ﷺ، فقد كان يغسل القدمين إن لم يكن عليهما خفان ويمسحهما إن كانا في الخفين، فتحمل قراءته بالنصب على العطف على المغسول من الوجه واليدين إن لم يكن خف، وقراءة الجر على العطف على الممسوح إن كانا في خفين

ويقولون على الصحابة أقوالا عظيمة لاحاجة الى ذكرها هاهنا ، الى أشياء أخر ، فقاتلهم المسلمون بأمر الله ورسوله .

فاذا كان على عهد رسول الله ﷺ وخلفائه ممن انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادتهم العظيمة حتى أمر النبي ﷺ بقتالهم ، فيعلم أن المنتسب الى الاسلام فى هذه الأزمان قد يمرق والسنة [1] حتى يدعى السنة من ليس من أهلها ، بل قد يمرق منها وذلك بأسباب منها الغلو الذى ذمه الله فى كتابه حيث قال (قل يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) وقال النبى ﷺ « إياكم والغلو فانما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين » وهو حديث صحيح

ومنها التفرق والاختلاف الذى ذكره الله فى كتابه

ومنها أحاديث تروى عن النبى ﷺ وهى كذب عليه باتفاق أهل المعرفة ، يسمعها الجاهل بالحديث فيصدق بها لموافقة ظنه وهواه وأضل الضلال اتباع الظن والهوى كما قال تعالى فى حق من ذمهم (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ـ الآية) وقال فى حق نبيه (والنجم إذا هوى . ماضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى)

---

(١) قوله : يمرق والسنة صوابه : يمرق من السنة

فنزهه عن الضلال والغواية الذين هما الجهل والظلم ، فالضال الذى لايعلم الحق والغوى الذى يتبع هواه ، وأخبر أنه ماينطق عن هوى النفس بل هو وحى أوحاه الله اليه ، فوصفه بالعلم ونزهه عن الهوى.

وأنا أذكر جوامع من أصول الباطل التى ابتدعها طوائف ممن ينتسب إلى السنة وقد مرق منها وصار من أكابر الضالين ، وهى فصول:

اصول الباطل

الفصل الأول

احاديث موضوعة

أحاديث رووها فى الصفات زائدة على الأحاديث التى فى دواوين الاسلام مما يعلم باليقين القاطع أنها كذب وبهتان بل كفر شنيع ، وقد يقولون من أنواع الكفر مالا يرون فيه حديثا مثل حديث يروونه « أن الله ينزل عشية عرفة على جمل أورق يصافح الركبان و يعانق المشاة » وهذا من أعظم الكذب على الله ورسوله ، وقائله من أعظم القائلين على الله غير الحق ، ولم يرو هذا أحد من علماء المسلمين أصلا ، بل أجمع علماء المسلمين وأهل الحديث على أنه مكذوب على رسول الله ﷺ مختلق عليه

وقال بعض أهل العلم كابن قتيبة وغيره : وهذا وأمثاله إنما وضعه الزنادقة الكفار ليشينوا به أهل الحديث ويقولون انهم يرون مثل هذا .

وكذلك حديث آخر فيه : أنه رأى ربه حين أفاض من مزدلفة

يمشى أمام الحجيج وعليه جبة صوف ، أو مايشبه هذا البهتان والافتراء على الله الذى لايقوله من عرف الله ورسوله .

وهكذا حديث فيه « ان الله يمشى على الأرض فاذا كان موضع خضرة قالوا هذا موضع قدميه و يقرأون (فانظر الى آثار رحمة الله)» وهذا أيضا كذب باتفاق العلماء ، ولم يقل الله (فانظر الى آثار خطى الله) وانما قال (آثار رحمة الله) ورحمة الله هنا هى المطر، وآثارها النبات .

وهكذا أحاديث فى بعضها أن محمداً رأى ربه فى الطواف ، وفى بعضها أنه رآه وهو خارج من مكة ، وفى بعضها أنه رآه فى بعض سكك المدينة ، الى أنواع أخر . وكل حديث فيه أن محمداً رأى ربه بعينه فى الأرض فهو كذب باتفاق المسلمين وعلمائهم .

هذا شىء لم يقله أحد من المسلمين ولا رواه أحد منهم ، وانما كان النزاع بين الصحابة هل رأى ربه ليلة المعراج ، وكان ابن عباس رضى الله عنهما وأكثر أهل السنة يقولون ان محمداً رأى ربه ليلة المعراج ، وكانت عائشة رضى الله عنها وطائفة معها تنكر ذلك ، ولم ترو عائشة فى ذلك شيئا عن النبى ﷺ ولا سألته عنه [1] ولا نقل

---

(١) الصحيح خلاف ذلك ، فقد روى مسلم فى صحيحه عن مسروق قال « كنت متكئاً عند عائشة فقالت : يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية ، قلت : ماهن ؟

عن الصدّيق فيه شيء كما يرويه ناس من الجهال أن أباها سأل النبي ﷺ فقال: نعم فقال لعائشة لا، فهذا الحديث كذب باتفاق العلماء

واختلفت الرواية عن الامام أحمد، هل يقال ان محمداً رأى ربه بعيني رأسه أو بعيني قلبه، أو يقال رآه ولا يقال بعيني رأسه ولا بعيني قلبه؟ ثلاث روايات.

وكذلك الحديث الذي رواه أهل العلم أنه قال « رأيت ربي في صورة كذا » يروى من طريق ابن عباس ومن طريق أم الطفيل وغيرهما وفيه « أنه وضع كتفيه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله على صدري » وهذا الحديث لم يكن ليلة المعراج، فان هذا كان

قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية قال: وكنت متكئاً فجلست فقلت: يا أم المؤمنين انظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل: ولقد رآه بالأفق المبين، ولقد رآه نزلة أخرى، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء ساداً عِظمُ خلقه ما بين السماء الى الأرض، فقالت أو لم تسمع أن الله يقول (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) أو لم تسمع أن الله يقول (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء إنه عليّ حكيم) - الحديث » [الناشر]

فى المدينة ، وفيه أن النبى ﷺ احتبس عن صلاة الفجر ثم خرج عليهم فقال : رأيت كذا وكذا ، وهى من رواية لم يصل خلفه[1] إلا بالمدينة كأم الطفيل ومعاذ وغيرهما ، والمعراج إنما كان من مكة باتفاق أهل العلم و بنص القرآن والسنة المتواترة كما قال تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) فعلم أن هذا الحديث كان رؤيا مناما كما جاء مفسراً فى كثير من طريقه ، وأنه كان رؤيا مناما بالمدينة كما جاء مقيداً فى كثير من طرقه مع أن رؤيا الأنبياء وحى لم يكن رؤيا يقظة ليلة المعراج .

وقد اتفق المسلمون على أن النبى ﷺ لم ير ربه بعينه فى الأرض ، وليس عن النبى ﷺ قط حديث فيه أن الله ينزل الى الأرض ، بل الأحاديث الصحيحة المعروفة « ان الله ينزل الى سماء الدنيا كل ليلة حتى يبقى[2] ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له »

وثبت فى الصحيح « ان الله يدنو عشية عرفة ـ وفى رواية : الى سماء الدنيا فيباهى الملائكة بأهل عرفة فيقول انظروا إلى عبادى أتونى شعثاً غبراً ما أراد هؤلاء »

وقد روى أن الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان ــ إن صح

---

(١) كذا بالأصل وفيه سقط ولعل الصواب : وهى من رواية من لم يصل خلفه .

(٢) الصواب : حين يبقى

الحديث ـ فانه مما تـكلم فيه أهل العلم .

وكذلك ماروٰه بعضهم أن النبي ﷺ لما نزل من حراء تبدى له ربه أو الملك على كرسى بين السماء والأرض ، غلط باتفاق أهل العلم بل الذى فى الصحاح « أن الذى تبدى له الملك الذى جاءه بحراء فى أول امره فقال له اقرأ فقلت لست بقارىء فأخذنى وغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت لست بقارىء ، فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت لست بقارىء فأخذنى فى الثالثة فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم)

فهذا أول مانزل ، ثم جعل النبي ﷺ يحدث عن فترة الوحى قال : « فبينما أنا أمشى إذ سمعت صوتا فرفعت رأسى فاذا هو الملك الذى جاءنى بحراء أراه بين السماء والأرض » رواه جابر فى الصحيحين . فأخبر أن الملك [1] الذى جاءه بحراء بين السماء والأرض ، وذكر أنه رعب منه ، فوقع فى بعض الروايات الملك ، فظن القارىء أنه أنه الملك وأنه الله ، وهذا غلط وباطل .

وبالجملة أن كل حديث فيه رأى ربه بعينيه فى الأرض أو نزل له إلى الأرض ، وأن رياض الأرض من خطوات الحق ، وأن الله

---

(١) قوله : أن الملك لعله : أنه الملك

وطىء على صخرة بيت المقدس ، فكل هذا كذب باطل باتفاق المسلمين من أهل الحديث وغيرهم .

وكذلك كل من ادعى أنه رأى ربه بعينه قبل الموت فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة والجماعة ؛ بل اتفقوا جميعهم على أن أحد المؤمنين لايرى ربه بعيني رأسه حتى يموت ، وثبت ذلك فى صحيح مسلم عن النواس رضى الله تعالى عنه ، عنه ﷺ أنه لما ذكر له الدجال قال « واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت » وكذلك روى هذا عن النبى ﷺ من وجوه يحذر أمته فتنة الدجال ويبين لهم أن أحداً منهم لن يرى ربه حتى يموت . فلا يظن أحد أن هذا الدجال الذى رآه هو ربه ، ولكن الذى يقع لأهل حقائق الايمان من المعرفة بالله ويقين القلوب ومشاهداتها وتجلياتها هو على مراتب كثيرة . قال النبى ﷺ لما سأله جبريل عن الاحسان قال « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه _ الحديث »

وقد يرى المؤمن ربه فى المنام فى صورة متنوعة على قدر ايمانه ويقينه ؛ فاذا كان ايمانه صحيحا لم يره إلا فى صورة حسنة ، وان كان فى ايمانه نقص رأى مايشبه ايمانه .

ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة فى اليقظة ، فلها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق ، وقد يحصل لبعض الناس فى اليقظة أيضا من الرؤيا نظير مايحصل للنائم فى المنام ،فيرى فى قلبه مثل مايرى النائم وقد تجلى له من الحقائق مايشهد فى قلبه .

فهذا كله يقع فى الدنيا وربما غلب على أحدهم ماشهده قلبه وجتمع حواسه ، فيظن أنه رأى ذلك بعينى رأسه حتى يستيقظ فيعلم أنه مناما [1] ، كما قد يظن النائم فى منامه أن الذى يراه بعينى رأسه حتى يستيقظ فيعلم أنه مناما ، وربما علم فى المنام أنه مناما . فهكذا من العباد مايحصل له مشاهدة قلبه حتى تغنيه عن الشعور بحواسه فيظنها رؤيا بعينه وهو غالط فى ذلك .

وكل من قاله من العباد المتقدمين والمتأخرين أنه رأى ربه بعيني رأسه فهو غالط فى ذلك باجماع أهل العلم والايمان .

نعم رؤية الله بالأبصار هى للمؤمنين فى الجنة وهى أيضا للناس فى عرصات القيامة كما تواترت بذلك الأحاديث عن النبى ﷺ أنه قال « انكم سترون ربكم فى الجنة كما ترون الشمس فى الظهيرة ليس دونها سحاب وكما ترون القمر ليلة البدر صحواً ليس دونه سحاب » وعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « جنان الفردوس أربع : جنتان من ذهب وآنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما ،ومابين القوم و بين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » رواه أحمد والطبرانى فى الكبير .

---

(١) لعله منام ، أو هو خبر لكان المحذوفة والتقدير أنه كان مناما . وكذا يقال فيما يأتى بعد قليل

قال ﷺ « اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عندالله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون ماهو ألم يبيض وجوهنا ويثقل ميزاننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار ، فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ، وهى الزيادة »

وهـذه الأحاديث وغيرها فى الصحاح وقد تلقاها السلف والأئمة بالقبول ، وقد اتفق عليها أهل السنة والجماعة وانما يكذب بها أو يحرفها الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والرافضة ونحوهم الذين يكذبون بصفات الله وبرؤيته وغـير ذلك ، وهم من المعطلة شرار الخلق والخليقة .

ودين الله وسط بين تكذيب هؤلاء بما أخبر به رسوله ﷺ من رؤيته فى الآخرة وبين تصديق الغاليـة بأنه يرى بالعيون فى الدنيا وكلاهما باطل .

وهؤلاء الذين يزعم أحـدهم انه يراه بعينى رأسه هم ضـلال كما تقدم ، فان ضموا إلى ذلك انهم يرونه فى بعض الأشخاص إما بعض الصالحين أو بعض المرد أو بعض الملوك أو غيرهم عظم ضلالهم وكفرهم وكانوا حينئذ أضل من النصارى الذين يزعمون انهم رأوه فى صورة عيسى ، بل هم أضل من أتباع الدجال الذى يكون فى آخر

الزمان ويقول للناس أنا ربكم ويأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت ويقول للخربة اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها .

وهذا الذى حذره النبى ﷺ أمته وقال « مامن خلق آدم الى يوم القيامة فتنة أعظم من الدجال » وقال : « اذا جلس أحدكم فى الصلاة فليستعذ بالله من أربع : ليقل اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال »

فهذا الذى ادعى الربوبية لعله أتى بشبهات فتن بها الخلق حتى قال فيه النبى ﷺ « إنه أعور وان ربكم ليس بأعور » وقال « واعلموا ان أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت » فذكر لهم علامتين ظاهرتين يعرفهما جميع الناس لعلمه ﷺ انمن الناس فيضل[1] فيجوز أن يرى ربه فى الدنيا فى صورة البشر كهؤلاء الضلال الذين يعتقدون ذلك وهؤلاء قد يسمون الحلولية والاتحادية وهم صنفان: قوم يخصونه بالحلول والاتحاد فى بعض الأشياء كما تقوله النصارى فى المسيح والغالية فى على رضى الله عنه ، وقوم فى أنواع من المشايخ وقوم فى بعض الملوك وقوم فى الصور الجميلة إلى غير ذلك من الأقوال التى هى شر من مقالات النصارى . وصنف يعممون فيقولون بحلوله واتحاده فى جميع الموجودات حتى الكلاب والخنازير والنجاسات وغيرها كما يقوله

---

(١) كذا فى الأصل ولعل الصواب : من يضل

قوم من الجهمية ومن تبعهم من الاتحادية كأصحاب ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين والتلمساني وغيرهم

ومذهب جميع المرسلين ومن تبعهم من المؤمنين وأهل الكتاب ان الله سبحانه وتعالى رب العالمين وخالق السموات والأرض ومابينهما ورب العرش العظيم والخلق جميعهم عباده وهم فقراء إليه وهو الله سبحانه وتعالى فوق السموات على عرشه بائن من خلقه ومع هذا فهو معهم أينما كانوا عالم بهم قادر عليهم مدبر لهم كما قال تعالى (هو الذى خلق السموات والأرض ومابينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها) الآية .

فهؤلاء الضلال الكفار الذى يزعم أحدهم انه يرى ربه بعينه وربما زعم انه جالسه أو حادثه أو ضاجعه وربمايعين أحدهم آدمياً إما شيخاً أو صبياً أو غير ذلك ويزعم انه هو كلمه يستتابون ، فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم وكانوا كفاراً ، انهم أكفر من النصارى الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ، فان المسيح رسول كريم وجيه عند الله فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . فاذا كان الذين قالوا إنه هو الله وانه اتحد فيه أو حل فيه قد كفرهم وعظم كفرهم ، بل الذين قالوا انه اتخذ ولداً حتى قال (وقالوا اتخذ الله ولداً لقد جئتم شيئاً إداً ، تكاد السموات يتفطرن منه) الآية . فكيف بمن يزعم بشخص من الأشخاص انه هو ؟ أليس هذا أكفر من الغالية الذين يزعمون ان علياً أو غيره من أهل البيت هو الله ،

وهؤلاء هم الزنادقة الذين حرقهم علىّ بالنار وأمر بأخاديد[١] خطت لهم عند باب كندة بعد أن أجلهم ثلاثاً ليتوبوا ، فلما لم يتوبوا أحرقهم بالنار . واتفق الصحابة رضى الله عنهم على قتلهم لكن ابن عباس كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف لا تحريقا وهو قول أكثر العلماء وقصتهم معروفة عند العلماء .

فصل

وكذلك الغلو فى بعض المشايخ ، إما الشيخ عدى أو يونس القنينى أو الحلاج أو غيرهم بل الغلو فى على بن أبى طالب بل الغلو فى المسيح ونحوه ، وكل من غلا[٢] بنبى أو رجل صالح . اما مثل على أو عدى أو فيمن يعتقد فيه الصلاح كالحلاج أو الحاكم الذى كان بمصر

---

(١) الأخاديد : جمع أخدود . الحفرة المستطيلة فى الأرض كالخد والخدة بالضم

(٢) اذا غلا المرء فجعل مالله من خواص أو بعض الخواص الألهية كالنذر والاستغاثة عند الشدائد والدعاء لأحدمن عبيده فهو مشرك لا فرق فى ذلك بين أن يكون المعتقد فيه من أهل الخير والصلاح كالأنبياء والعباد والزهاد من أممهم أو من غير ذلك كالحلاج والحاكم بأمر الله ، فرجع الضرر الى انحراف العقيدة لا إلى حال المعتقد فيه ودرجته .

و يونس القنيني ونحوهم وجعل فيه نوعامن الألهية مثل أن يقول كل رزق لايرزقنيه الشيخ فلان ما أريده ، أو يقول اذا ذبح شاة: باسم سيدى أو يعبده بالسجود له أو لقبره ، أو يدعوه من دون الله مثل أن يقول ياسيدى فلان اغفر لى أو ارحمنى أو انصرنى أو ارزقنى أو أغثنى أو أجرنى أو توكلت عليك أو أنت فى حسبي أو أنا فى حسبك ونحوه .

هذه الأقوال والأفعال التى هى من خصائص الربوبية التى لاتصلح إلا لله تعالى فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه . فان تاب و إلا قتل ، فان الله انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبدوا الله وحده لاشريك له ولايجعل معه إلهاً آخر ، والذين كانوا يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والكواكب والعزير والمسيح والملائكة واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ويغوث و يعوق وغير ذلك لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق أو انها تنزل المطر أو انها تنبت النبات وانما كانوا يعبدون الملائكة والأنبياء والجن والكواكب والتماثيل المصورة لهؤلاء و يعبدون قبورهم و يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى و يقولون هم شفعاؤنا عندالله ، فبعث الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم

الوسيلة أيهم أقرب ، و يرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، إن عذاب ربك كان محذورا) .

قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة وقال الله لهم هؤلاء الذين تدعون يتقربون إلىّ كما تتقربون إلىّ ، ويرجون رحمتى كما ترجون رحمتى ، ويخافون عذابى كما تخافون عذابى[١] وقال تعالى (قل ادعو الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) فأخبر سبحانه ان من يدعى من دونه ليس له مثقال ذرة من الملك ولا شرك وانه ليس له من الخلق عون يستعين به وانه لا تنفع الشفاعة عنده إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، وقال تعالى (من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه) وقال تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ، قل لله الشفاعة جميعا) الآية .

---

(١) هذا التفسير هو الذى يتفق مع أساليب اللغة العربية ومقاصد الدين من إخلاص الدعاء لله وتطهير القلب من دنس الشرك ووسائله وقد حرف القرآن عن مواضعه من استدل بهذه الآية وبقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) من العوام وأهل الجهل والغباء على جواز التوسل بالصالحين ودعائهم لتفريج الكربات وان الوسيله فيهما بمعنى القربة والعمل الصالح الذى يقدمه العابد بين يديه ليتعرف به الى ربه وليستشفع به إليه عند الشدة

وقوله تعالى (و يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبؤن الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون)

وعبادة الله وحده لاشريك له هى أصل الدين ، وهو التوحيد الذى بعث الله به الرسل ، وأنزل به الكتب . قال تعالى (واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا : أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)

وكان النبى ﷺ يحقق التوحيد و يعلمه أمته حتى قال له رجل : ماشاء الله وشئت . قال « أجعلتنى لله نداً ؟ بل ماشاء الله وحده » وقال « لاتقولوا : ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله وحده »

ونهى عن الحلف بغير الله فقال « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » وقال « من حلف بغير الله فقد أشرك » وقال لاتطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله

ولهذا اتفق العلماء على أنه ليس لأحد أن يحلف بمخلوق كالكعبة ونحوها . ونهى النبى ﷺ عن السجود له . وقال « لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » وقال لمعاذ ابن جبل « أرأيت لو مررت بقبرى أكنت ساجداً لى ؟ قال لا قال

فلا تسجد لى » ونهى النبى ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد . وقال فى مرض موته « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا » قالت عائشة رضى الله عنها : ولولا ذلك لبرز قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجداً

وفى الصحيح أنه قال قبل أن يموت بخمس « ان من قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فانى أنهاكم عن ذلك » وقال ﷺ « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد ؛ اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وقال لا تتخذوا بيتى عيداً ولا بيوتكم قبورا ، وصلوا علىّ حيث كنتم فان صلاتكم تبلغنى . ولهذا اتفق أئمة الاسلام أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ، ولا تشرع الصلاة عند القبور ؛ بل كثير من العلماء يقولون الصلاة عندها باطلة .

والسنة فى زيارة قبور المسلمين نظير الصلاة عليهم قبل الدفن . قال الله تعالى فى كتابه عن المنافقين (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره) فكان دليل الخطاب ان المؤمنين يصلى عليهم، ويقام على قبورهم . وكان النبى ﷺ يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا : السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم.

وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كان تعظيم القبور بالعبادة ونحوها . وقال تعالى فى كتابه (وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) قال طائفة من السلف : كان هذه أسماء قوم صالحين ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم وعبدوها . ولهذا اتفق العلماء على أن من سلم على النبى ﷺ عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها ؛ لأن التقبيل والاستلام انما يكون لأركان بيت الله ، فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق . وكذلك الطواف والاجتماع للعبادات انما تقصد فى بيوت الله وهى المساجد التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، فلا تقصد بيوت المخلوقين فتتخذ عيداً كما قال ﷺ لاتتخذوا بيتى عيداً

كل هـذا لتحقيق التوحيد الذى هو أصل الدين ورأسه الذى لايقبل الله عملا إلا به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه كما قال الله تعالى (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيما)

ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه ، فان أعظم آية فى القرآن آية الكرسى (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) وقال ﷺ « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنـة » والاله هو الذى تألهه القلوب عبادة له واستغاثة به ورجاء له وخشية واجلالا واكراما .

فصل

ومن ذلك الاقتصاد فى السنة واتباعها كما جاءت بلا زيادة ولا نقصان مثل الكلام فى القرآن وسائر الصفات ، فان مذهب سلف الأمة وأهل السنة ان القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدا و إليه يعود . هكذا قال غير واحد من السلف .

وروى عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار وكان من التابعين الأعيان قال : مازلت أسمع الناس يقولون ذلك والقرآن الذى أنزل الله على رسوله محمد ﷺ هو هذا القرآن الذى يقرأه المسلمون و يكتبونه فى مصاحفهم وهو كلام الله لا كلام غيره و إن تلاه العباد و بلغوه بحركاتهم وأصواتهم فان الكلام كلام لمن قال مبتدأ لا لمن قال مبلغا مؤيدا . قال تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)

وهذا القرآن فى المصاحف كما قال تعالى (بل هو قرآن [1] مجيد

---

(١) فى استدلال المؤلف بالآيات (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) (انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون) على أن القرآن هو المكتوب فى المصاحف التى بايدينا نظر ، فان المراد بالاوح المحفوظ والكتاب المكنون ما كان مكتوباً فيه القران قبل أن ينزل يدل على ذلك أن سياق الكلام فى نفى شبهة عن القران أن يكون مفترى على الله كذبا فبين أن هذا القران قد كان فى موضع لا تصل اليه أيدى العابثين فكان فى مأمن من التغيير و التحريف فلا اختلاق

فى لوح محفوظ) وقال (يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة) وقال (انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون) والقرآن كلام الله بحروفه ونظمه ومعانيه كل ذلك يدخل فى القرآن وفى كلام الله .

وإعراب الحروف هو من تمام الحروف كما قال النبى ﷺ « من قرأ [1] القرآن فأعرب به فله بكل حرف عشر حسنات » وقال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما إعراب القرآن أحب الينا من حفظ بعض حروفه ، واذا كتب المسلمون مصحفا فان أحبوا أن لاينقطوه ولا يشكلوه جاز ذلك كما كان فى الصحابة يكتبون ذلك بلا تنقيط ولا تشكيل ، لانهم كانوا عربا لايلحنون وهكذا مصاحف الأئمة التى بعث بها عثمان الى الآفاق ، ثم فى زمن التابعين فشا اللحن فنقطت المصاحف وتشكلت بالنقط الحمر ثم شكلت بمثل خط الحروف وتنازع العلماء فى كراهة ذلك وفيه خلاف عن الامام أحمد وغيره من العلماء ، قيل يكره ذلك لانه بدعة وقيل لايكره للحاجة اليه ، وقيل يكره النقط دون الشكل لبيان الاعراب .

والصحيح انه لابأس به والتصديق بما ثبت عن النبى ﷺ

---

(١) عن عبدالله بن مسعود قال قال النبى صلى الله عليه وسلم « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول (الم) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب ، ورواه أيضا الحاكم والبخارى فى التاريخ

ان الله يتكلم بصوت و ينادى آدم يوم القيامة بصوت الى أمثال ذلك من الأحاديث . فهذه الجملة كان عليها سلف الأمة وأئمة أهل السنة .

قال أئمة السنة : كلام الله غير مخلوق حيث تلى وحيث كتب فلا يقال لتلاوة العبد بالقرآن انها مخلوقة لأن ذلك يدخل فيه القرآن المنزل ولا يقال غير مخلوقة لأن ذلك يدخل فيه أفعال العباد ولم يقل أحد قط من أئمة السلف ان أصوات العباد بالقرآن قديمة ، بل أنكروا على من قال لفظ العبد بالقرآن غير مخلوق .

وأما من قال ان المداد قديم فهذا من أجهل الناس وأبعدهم عن السنة . قال الله تعالى (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) فأخبر ان المداد يكتب به كلماته . وكذلك من قال ليس القرآن فى المصحف وانما فى المصحف مداد وورق أو حكاية أو عبارة فهذا مبتدع ضال ، بل القرآن الذى أنزله الله على محمد ﷺ هو ما بين اللوحين .

والكلام فى المصحف على الوجه الذى يعرفه الناس له خصائص يمتاز بها على سائر الأشياء ، وكذلك من زاد على السنة فقال ان أصوات العباد وألفاظهم قديمة فهو مبتدع ضال كمن قال ان الله لا يتكلم بحرف ولا بصوت فانه أيضاً مبتدع منكر للسنة ، وكذلك من زاد وقال ان المداد قديم فهو ضال كمن قال ليس فى المصحف كلام الله .

وأما من زاد على ذلك من الجهال الذين يقولون ان الورق والجلد والوتد وقطعة من الحائط كلام الله فهو بمنزلة من يقول ماتكلم الله بالقرآن ولا هو كلامه .

هذا الغلو فى جانب الاثبات يقابل ذلك التكذيب من جانب النفى وكلاهما خارج عن السنة والجماعة ، وكذلك افراد القرآن فى النقطة والشكلة بدعة نفياً واثباتا وانما حدثت هذه البدعة من قريب من مائة سنة أو أكثر بقليل . فان من قال ان المداد الذى ينقط به الحروف ويشكل به قديم فهو ضال مبتدع . ومن قال ان إعراب حروف القرآن ليس من القرآن فهو ضال مبتدع ؛ بل الواجب أن يقال هذا القرآن العربى هو كلام الله وقد دخل فى ذلك حروفه باعرابها كما دخلت معانيه ، فان كان المصحف منقوطا مشكلا أطلق على مابين اللوحين انه كلام الله ، وإن كان غير منقوط ولا مشكول كالمصاحف القديمة التى كتبها الصحابة كان أيضاً مابين اللوحين هو كلام الله . فلا يجوز أن تلقى الفتنة بين المسلمين بأمر محدث ونزاع لفظى لا حقيقة له ولا يجوز أن يحدث فى الدين ماليس منه .

فصل



وكذلك يجب الاقتصاد والاعتدال فى أمر الصحابة والقرابة فان الله قد أثنى على أصحاب نبيه من السابقين والتابعين لهم باحسان وأخبر أنه قد رضى عنهم ورضوا عنه وانه ذكرهم فى آيات من كتابه

مثل قوله (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) إلى آخر السورة . وقال تعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة)الآيه .

وفى الصحاح عن النبى ﷺ انه قال « لا تسبوا أصحابى ، فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ماتواتر عن على بن أبى طالب أنه قال : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. واتفق أصحاب رسول الله ﷺ على بيعة عثمان بعد عمر . وثبت عن النبى ﷺ أنه قال :خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم تصير ملكا . وقال ﷺ : عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة . فكان على آخر الخلفاء الراشدين المهديين

وقد اتفق أهل السنة من العلماء والعباد والأمراء والأجناد على أن يقولوا : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على . ودلائل ذلك وفضائل الصحابة كثير ، ليس هذا موضعه

وكذلك نؤمن بالأمساك عما شجر بين الصحابة ، ونعلم أن بعض المنقول فى ذلك كذب ، و بعضه كانوا فيه مجتهدين ؛ إما مصيبين لهم أجران ، أو مثابين على عملهم الصالح ، مغفور لهم خطأهم وما كان لهم من السيئات ، وقد سبق لهم من الله الحسنات ، فان الله يغفرها لهم إما بتوبة أو حسنات ماحية ، أو مصائب مكفرة او غير

ذلك ، فانهم خير قرون هذه الأمة كما قال النبي ﷺ « خير القرون القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . وهذه الأمة خير أمة أخرجت للناس ، ويعلم مع ذلك ان على بن أبى طالب كان أفضل وأقرب الى الحق ممن قاتله مع معاوية لما فى الصحيحين عن أبى سعيد عن النبي ﷺ انه قال « تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق » وفى هذا الحديث دليل على أنه مع كل طائفة حق ، وان علياً أقرب إلى الحق . وأما الذين قعدوا عن القتال فى الفتنة كسعد بن أبى وقاص وابن عمر وغيرهما ، فاتبعوا النصوص التى سمعوها فى الامساك عن القتال فى الفتنة ، وعلى ذلك أكثر اهل العلم ، وأهل الحديث

وكذلك آل بيت رسول الله ﷺ لهم من الحقوق مايجب رعايتها فان الله تعالى جعل لهم حقا فى الخمس والفىء ، وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسوله فقال لنا : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد ، و بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد . وآل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة ، هكذا قال الشافعى وأحمد وغيرهما من العلماء ، فان النبي ﷺ قال : ان الصدقة لاتحل لمحمد ولا لآل محمد . وقد قال الله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيرا) وحرم الله عليهم الصدقة لأنها اوساخ

الناس . وقد قال بعض السلف : حب أبي بكر وعمر ايمان و بغضهما نفاق . وحب بني هاشم ايمان و بغضهم نفاق

وفى المسانيد والسنن ان النبى ﷺ قال للعباس لما شكا اليه جفوة قومه لهم « والذى نفسى بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلى » وفى الصحيح عن النبى ﷺ انه قال : ان الله اصطفى بنى اسماعيل ، واصطفى بنى كنانة من بنى اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى بنى هاشم من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم

وقد كانت الفتنة لما وقعت بقتل عثمان وافتراق الأمة بعده ، صار قوم ممن يحب عثمان و يغلو فيه ينحرف عن على ، مثل كثير من أهل الشام ممن كان إذ ذاك يسب علياً و يبغضه ، وقوم ممن يحب علياً و يغلو فيه ، ينحرف عن عثمان ، مثل كثير من اهل العراق ممن كان يبغضه و يسبه ، ثم تغلظت بدعتهم بعد ذلك حتى سبوا ابابكر وعمر . وزاد البلاء بهم حينئذ

والسنة محبة عثمان وعلى جميعاً ، وتقديم أبا بكر وعمر عليهما لما خصهما الله به من الفضائل التى سبقا بها عثمان وعلياً جميعا . وقد نهى الله فى كتابه عن التفرق والتشتت ، وأمر بالاعتصام بحبله ، فهذا موضع يجب للمؤمن أن يتثبت فيه و يعتصم بحبل الله ، فان السنة مبناها على العلم والعدل ، والاتباع لكتاب الله وسنة رسوله .

فالرافضة لما كانت تسب الصحابة صار العلماء يأمرون بعقوبة

من سب الصحابة ثم كفرت الصحابة وقالت أشياء قد ذكرنا حكمهم في غير هذا الموضع . ولم يكن أحد إذ ذاك يتكلم في يزيد بن معاوية ولا كان الكلام فيه من الدين . ثم حدث بعد ذلك أشياء فصار قوم يظهرون لعن يزيد وربما كان غرضهم في ذلك التطرق الى لعنة غيره فكره أكثر أهل السنة لعنة أحد بعينه ؛ فسمع بذلك قوم ممن يتسنن فاعتقدوا ان يزيد كان من كبار الصالحين وأئمة الهدى وصار الكلام فيه على طرفي نقيض ، هؤلاء يقولون إنه كافر زنديق قتل ابن بنت رسول الله ﷺ الحسين وقتل الأنصار وسباهم بالحرة ليأخذ بثأر أهل بيته الذين قتلوا كفاراً مثل جد أبيه لأمه عتبة وابنه الوليد وغيرهما ؛ ويذكرون عنه من الاشتهار بشرب الخمر واظهار الفواحش أشياء . وأقوام يعتقدون انه كان إماماً عادلا هاديا مهدياً وانه كان من الصحابة أو أكابر الصحابة ، وانه كان من أولياء الله وربما اعتقد بعضهم انه من الانبياء ، ويقولون من وقف في يزيد وقفه الله على نار جهنم .

ويروون عن الشيخ حسن بن عدى انه قال كذا وكذا أولياء وقفوا على النار لوقوفهم في يزيد . وفي زمن الشيخ حسن زادوا في السنة أشياء باطلة نظما ونثراً وغلوا في الشيخ عدى وفي يزيد بأشياء مخالفة لما كان عليه الشيخ عدى الكبير فان طريقته كانت سليمة لم يكن فيها

شيء من هذه البدع ، وابتلوا بروافض عادوهم وقتلوا الشيخ حسن وجرت فتن لا يحبها الله ولا رسوله .

وهذا الغلو في يزيد من الطرفين خلاف لما أجمع عليه أهل العلم والايمان . فان يزيد ولد في خلافة عثمان لم يدرك النبي ﷺ ولا كان من الصحابة باتفاق العلماء ولا كان من المشهورين بالدين والصلاح ؛ وكان من شباب المسلمين ، ولا كان كافراً ولا زنديقاً ، وتولى بعد وفاة أبيه على كراهة من بعض المسلمين ورضى من بعضهم ؛ وكان فيه شجاعة وكرم ولم يك مظهراً للفواحش ، كما يحكي عنه بعض خصومه وجرت في إمارته أمور عظيمة ؛ أحدها مقتل الحسين وهو لم يأمر به ولا أظهر الفرح به ، ولا نكت بالقضيب على أسنانه ؛ ولا حمل رأس الحسين الى الشام . لكن أمر بمنع الحسين وإمساكه وبدفعه عن الأمر ، ولو كان بقتله ؛ فزاد النواب على أمره ، وحض الشمر بن ذي الجوشن الجيوش على قتله ، فاعتدى عليه عبيدالله بن زياد ، فطلب منهم الحسين رضي الله عنه أن يجيء إلى يزيد ابن عمه أو يذهب الى الثغر مرابطا أو يذهب الى مكة ، فمنعوه إلا أن يستأسر لهم وأمر عمرو ابن سعد بقتله ، فقتلوه مظلوما له ولطائفة من أهل بيته .

فكان قتله من المصائب العظيمة ، فانها وقتلة عثمان قبلها كانتا من أعظم أسباب الفتن في هذه الأمة ، وقتلتهما من شرار الخلق عند الله .

ولما قدم أهله على يزيد أكرمهم وسيرهم الى المدينة ، وروى

عنه أنه لعن عبيد الله بن زياد على قتله ، قال : قد كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين ، لكن مع هذا لم يظهر منه إنكار قتله والانتصار له وأخذ ثأره ما كان هو الواجب ، فكان أهل الحق يلومونه على ما تركه من الواجب مضافاً لأمور أخرى ، وأما خصومه فيزيدون عليه من الفرية أشياء .

وأما الأمر الثانى : فان أهل المدينة نقضوا بيعته وأخرجوا نوابه وأهله ، فبعث إليهم جيشاً وأمره إن لم يطيعوه بعد ثلاث أن يدخلها بالسيف ويبيحها ثلاثاً ، فصار عسكره بالمدينة النبوية ثلاثاً يقتلون وينهبون ويفتضون الفروج المحرمة ، ثم أرسل جيشه الى مكة فحاصروا مكة وتوفى يزيد وهم محاصرون مكة . وهذا من الظلم والعدوان الذى فعل بأمره ، ولهذا كان الذى عليه معتقد أهل السنة وأئمة الأمة أن لا يسب ولا يحب .

قال صالح بن أحمد . قلت لأبى إن قوماً يقولون انهم يحبون يزيد . فقال يابنى وهل يحب يزيد احد يؤمن بالله واليوم الآخر . فقلت ياأبت فلم لاتلعنه ؟ فقال يابنى ومتى رأيت أباك يلعن أحدا ؟

وروى عنه انه قيل له : تكتب الحديث عن يزيد . قال لا وكرامة له ، أوليس هو الذى فعل بأهل المدينة مافعل .

فيزيد عند العلماء من المسلمين ملك من الملوك لايحبونه محبة الصالحين وأولياء الله ولا يسبونه ، فانهم لايحبون لعنة المسلم المعين . لما روى البخارى فى صحيحه عن عمر بن الخطاب : ان رجلا كان

يدعى حماراً وكان يكثر شرب الخمر، وكان كلما أتى به الى النبى ﷺ ضربه فقال رجل لعنه الله ما أكثر مايؤتى به . فقال النبى ﷺ « لاتلعنه فانه يحب الله ورسوله » ومع هذا فطائفة من أهل السنة تجوز لعنته لانهم يعتقدون انه فعل من الظلم مايجوز لعنة فاعله .

وطائفة أخرى ترى محبته لأنه مسلم ، تولى على عهد الصحابة وبايعه الصحابة ويقولون كانت له محاسن ولم يصح عنه مانقل عنه ، أو كان مجتهداً فيما فعله . والصواب ماعليه الأئمة من انه لايخص بمحبة ولا يلعن . ومع هذا فان كان فاسقا أو ظالما ، فالله يغفر للظالم والفاسق لاسيما اذا أتى بحسنات عظيمة .

وفى البخارى عن ابن عمر مرفوعاً : أول جيش يغزو قسطنطينية مغفور لهم، وأول جيش غزاه كان أميرهم يزيد بن معاوية ، وكان معه أبو أيوب الأنصارى ، وقد يشتبه يزيد بن معاوية بعمه يزيد بن أبى سفيان ، فان يزيد بن أبى سفيان كان من الصحابة وكان من خيار الصحابة ، وهو خير آل حرب ، وكان أحد أمراء الشام الذى بعثه أبو بكر فى فتوح الشام ومشى أبو بكر فى ركابه يوصيه مشيعاً له . فقال له ياخليفة رسول الله : إما أن تركب و إما أن أنزل . فقال لست براكب ولست بنازل . إنى أحتسب خطاى هذه فى سبيل الله .

فلما توفى بعد فتوح الشام فى خلافة عمر ولى عمر مكانه أخاه معاوية وولد له يزيد فى خلافة عثمان ، وأقام معاوية بالشام الى أن وقع ماوقع :

فالواجب الاقتصاد فى ذلك ، والاعراض عن ذكر يزيد بن معاوية وامتحان المسلمين به ، فان هذا من البدع المخالفة لأهل السنة والجماعة ، فانه بسبب ذلك اعتقد قوم من الجهال أن يزيد من الصحابة ، وانه من أكابر الصحابة وأئمة العدل .

فصل

وكذلك التفريق بين الأمة وامتحانهم بما لا يأمر الله به ولا رسوله مثل أن يقول للرجل أنت شكيلى أو قرقندى ، فان هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان ، وليس فى كتاب الله ولا سنة رسوله ولا فى الآثار المعروفة عن سلف الأمة ، لا شكيلى ولا قرقندى ، والواجب على المسلم اذا سئل عن ذلك أن يقول : لا أنا شكيلى ولا قرقندى بل أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله .

وقد روينا أن معاوية سأل ابن عباس فقال : أنت على ملة عثمان أو على ملة على فقال : لست على ملة على ولا ملة عثمان بل أنا على ملة رسول الله ﷺ ، وكذلك كان كثير من السلف يقولون كل هذه الأهواء فى النار ويقول أحدهم : ما أبالى أى النعمتين أعظم على ان هدانى الله للاسلام أو جنبنى هذه الأهواء والله تعالى قد سمانا فى القرآن المسلمين المؤمنين عباد الله ، فلا نعدل عن الأسماء التى سمانا الله بها إلى أسماء أحدثها قوم وسموها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان ، بل الأسماء التى قد يسوغ التسمى بها مثل انتساب

الى إمام كالحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى والى شيخ كالقادرى والعدوى ونحوهم ومثل انتساب الى القبائل كالقسى أو الى الأمصار كالشامى والعراقى والمصرى ، ولا يجوز لأحد أن يمتحن الناس بها ولا يوالى بهذه الأسماء ولا يعادى عليها ، بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم — من أى طائفة كان — وأولياء الله الذين هم أولياؤه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما قال تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون) فقد أخبر تعالى ان أولياءه هم المؤمنون المتقون . وقد بين المتقين فى قوله (ليس البر أن تولوا وجوهكم قِبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) والتقوى فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه

وقد أخبر النبى ﷺ عن حال أولياء الله وبما صاروا به أولياءه ، ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « يقول الله تعالى : من عادى لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربة . وما تقرب الىّ عبدى بمثل أداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، و بصره الذى يبصر به ، و يده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، فبى يسمع ،

وبى يبصر وبى يبطش ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذ بى لأعيذنه . وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد منه » فقد ذكر فى هذا الحديث أن التقرب إلى الله على درجتين (أحدهما) التقرب اليه بأداء الفرائض وهى درجة المقتصدين الأبرار أصحاب اليمين ، والثانية هى التقرب اليه بالنوافل بعد أداء الفرائض وهى درجة السابقين المقربين . كما قال تعالى : (إن الأبرار لفى نعيم على الأرائك ينظرون) إلى قوله (ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون) قال ابن عباس « تمزج لأصحاب اليمين مزجا ويشربها المقربون صرفا » . وقد ذكر الله هذا المعنى فى عدة مواضع من كتابه ، فكل من آمن بالله ورسوله واتقى الله فهو من أولياء الله والله سبحانه قد أوجب موالاة المؤمنين بعضهم لبعض ، وأوجب عليهم معادات الكافرين فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) إلى قوله (فان حزب الله هم الغالبون) فقد أخبر سبحانه أن ولى المؤمن هو الله ورسوله وعباده المؤمنون ، وهذا عام فى كل مؤمن موصوف بهذه الصفة سواء كان من أهل نسبه أو بلده أو مذهبه أو طريقته ، أو لم يكن . وقال تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) وقال : (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض) إلى قوله (والذين آمنوا من

بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) وقال تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى) الآيتين

وفى الصحاح عن النبي ﷺ انه قال « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

وفى الصحاح أيضاً انه قال « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وشبك بين أصابعه . وفى الصحاح أيضاً انه قال « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وقال ﷺ « المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه » وأمثال هذه النصوص فى كتاب الله والسنة كثيرة ، قد جعل الله فيها عباده المؤمنين بعضهم أولياء بعض وجعلهم أخوة وجعلهم متناصرين متراحمين متعاطفين وأمرهم سبحانه فى كتابه بالائتلاف ونهاهم عن الافتراق والاختلاف فقال (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقال (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء) فكيف يجوز مع هذا لأمة محمد ﷺ أن تفترق وتختلف حتى يوالى الرجل طائفة و يعادى طائفة أخرى بالظن والهوى بلا برهان من الله . وقد برأ الله نبيه ممن كان هكذا ، وهذا فعل أهل البدع كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين واستحلوا دماء من خالفهم .

وأما أهل السنة والجماعة فهم معتصمون بحبل الله وأقل ما فى

ذلك أن يفضل الرجل من يوافقه على هواه ، وان كان غيره أتقى لله منه . وانما الواجب أن يقدم من قدمه الله ورسوله ، ويؤخر من أخره الله ورسوله، ويحب ما أحبه الله ورسوله، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ، ويأمر بما أمر الله به ورسوله ، وينهى عما نهى الله عنه ورسوله ، وأن يرضى بما رضى الله به ورسوله ، وأن يكون المسلمون يداً واحدة ، فكيف اذا بلغ الأمر ببعض الناس الى أن يضلل غيره ويكفره ، وقد يكون الصواب معه وهو الموافق للكتاب والسنة ولو كان أخوه المسلم قد أخطأ فى شىء من أمور الدين ، فليس كل من أخطأ يكون كافراً ولا فاسقاً ولا عاصياً ، بل قد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان .

وفى كتاب الله فى دعاء الرسل والمؤمنين (ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) . وثبت فى الصحيح أن قال(قد فعلت) لاسيما وقد يكون من يوافقكم فى أخص من الاسلام ، مثل أن يكون مثلكم على مذهب الشافعى أو منتسباً الى الشيخ عدى . ثم بعد هذا قد يخالف فى شىء وربما كان الصواب معه ، فكيف يستحل عرضه أو دمه أو ماله مع ماذكر الله من الحقوق للمسلم والمؤمن ، وكيف يجوز التفريق بين الأمة بأسماء مبتدعة لا أصل لها فى كتاب الله ولا سنة رسوله .

وهذا التفريق الذى حصل بين الأمة وعلمائها ومشايخها

وأمرائها وكبرائها هو الذى أوجب تسليط الأعداء عليهم [1] وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله كما قال تعالى (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء ، واذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا ، واذا اجتمعوا صلحوا وملكوا ، فان الجماعة رحمة و إن الافتراق عذاب ، وجماع ذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما قال تعالى (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) إلى قوله (وأولئك هم المفلحون) .

فمن الأمر بالمعروف ، الأمر بالائتلاف والاجتماع ، والنهى عن الاختلاف والفرقة . ومن النهى عن المنكر إقامة الحدود على من خرج عن شريعة الله تعالى . فمن اعتقد فى بشر انه إله أو دعا ميتاً

---

(١) هذا هو الصواب ، أما مازعمه الجهلة من ان الاختلاف والافتراق رحمة للأمة فكيف يصح ذلك وقد نهى الله عن الاختلاف فى القرآن والتشيع، قال تعالى (ولاتكونوا كالذين تفرقوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) وقال (ولا تفرقوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) فكيف ينهى الله عن الفرقة والاختلاف وفيها الرحمة والسعادة انه لا يفعل هذا إلا من سفه نفسه وأضل عقله .

أو طلب منه الرزق والنصر والهداية وتوكل عليه وسجد له فانه يستتاب ، فان تاب وإلا ضربت عنقه . ومن فضل أحداً من المشايخ على النبي ﷺ أو اعتقد ان أحداً يستغنى عن طاعته استتيب فان تاب وإلا ضربت عنقه . وكذلك من اعتقد ان أحداً من أولياء الله يكون مع محمد كما كان الخضر مع موسى فانه يستتاب ، فان تاب وإلا ضربت عنقه لأن الخضر لم يكن من أمة موسى ولا كان يجب عليه طاعته ، بل قال انى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه لا أعلمه .

وكان موسى مبعوثاً الى بنى اسرائيل كما قال النبي ﷺ ، وكان النبي يبعث الى قومه خاصة و بعثت الى الناس عامة ، ومحمد ﷺ مبعوث الى جميع الثقلين إنسهم وجنهم ، فمن اعتقد انه يسوغ لأحد الخروج عن شريعته وطاعته فهو كافر يجب قتله .

وكذلك من كفر المسلمين واستحل دماءهم وأموالهم ببدعة ابتدعها ليست فى كتاب الله ولا سنة رسوله فانه يجب نهيه عن ذلك وعقوبته بما يزجره ولو بالقتل أو القتال ، فانه اذا عوقب المعتدون من جميع الطوائف وأكرم المتقون من جميع الطوائف كان ذلك من أعظم الأسباب التى ترضى الله ورسوله وتصلح أمر المسلمين .

ويجب على أولياء الأمر ، وهم علماء كل طائفة وأمراؤها ومشايخها أن يقوموا عامتهم ويأمروهم بالمعروف ، وينهوهم عن المنكر ،

فيأمروهم بما أمر الله به ورسوله وينهوهم عما نهى الله عنه ورسوله ، (فالأول) مثل شرائع الاسلام ، وهى الصلوات الخمس فى مواقيتها وإقامة الجمعة والجماعات من الواجبات والسنن الراتبات ، كالأعياد وصلاة الكسوف والاستسقاء والتراويح وصلاة الجنائز وغير ذلك، وكذلك الصدقات المشروعة والصوم المشروع وحج البيت الحرام، ومثل الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والايمان بالقدر خيره وشره ، ومثل الاحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ، ومثل سائر ما أمر الله به ورسوله من الأمور الباطنة والظاهرة ، مثل اخلاص الدين لله والتوكل على الله وأن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما والرجا لرحمة الله وخشية عذاب الله والصبر لحكم الله والتسليم لأمر الله ، ومثل صدق الحديث والوفاء بالعهود وأداء الأمانات إلى أهلها وبر الوالدين وصلة الأرحام والتعاون على البر والتقوى والاحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والصاحب والزوجة والمملوك والعدل فى المقال والفعال، ثم الندب إلى مكارم الأخلاق مثل أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفوَ عمن ظلمك قال تعالى : (وجزاء سيئة سيئة مثلها) إلى قوله (ذلك من عزم الأمور)

وأما المنكر الذى نهى الله عنه ورسوله فأعظمه الشرك بالله ، وهو أن يدعى مع الله إلهاً آخر إما الشمس أو القمر أو الكواكب أو ملكا من الملائكة أو نبياً من الأنبياء أو رجلا من الصالحين

أو أحداً من الجن أو تماثيل هؤلاء أو قبورهم أو غير ذلك مما يدعى من دون الله تعالى ويستغاث به أو يسجد له ، فكل هذا وأشباهه من الشرك الذى حرمه الله على لسان جميع رسله .

وقد حرم الله قتل النفس بغير حقها ، وأكل أموال الناس بالباطل إما بالغصب وإما بالربا أو الميسر ، كالبيوع والمعاملات التى نهى رسول الله ﷺ عنها ، وكذلك قطيعة الأرحام وعقوق الوالدين وتطفيف المكيال والميزان ، والاثم والبغى بغير الحق

وكذلك مما حرم الله تعالى أن يقول الرجل على الله مالا يعلم مثل أن يروى عن الله أو رسوله أحاديث يجزم بها وهو لا يعلم صحتها أو يصف الله بصفات لم ينزل بها كتاب من السماء ولا فيها آثار من علم الرسول ﷺ ، سواء كانت من صفات النفى والتعطيل مثل قول الجهمية انه ليس فوق العرش ولا فوق السموات ، أو انه لا يرى فى الآخرة ولا يتكلم ولا يحب ، ونحو ذلك مما كذبوه على الله ورسوله ، أو كانت من صفات الاثبات والتمثيل ، مثل من يزعم أنه يتمشى فى الأرض أو يجالس الخلق ، او انهم يرونه بعيونهم ؛ او ان السموات تحويه وتحيط به ، او انه سار[1] فى مخلوقاته ، إلى غير ذلك من انواع الفرية على الله .

وكذلك العبادات المبتدعة التى لم يشرعها الله ورسوله كما قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) فان الله

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب : حال

شرع لعباده المؤمنين عبادات ويشرع الشيطان عبادات ظاهر بها مثل أنه شرع لهم عبادة الله وحدة لاشريك له ؛ فشرع لهم شركاؤهم عبادة ماسواه والاشراك به ، وشرع لهم الصلوات الخمس وقراءة القرآن فيها والاستماع له ، والاجتماع لسماع القرآن خارج الصلاة أيضا فأول سورة أنزلها الله على نبيه (اقرأ باسم ربك الذى خلق) أمره فى أولها بالقراءة وفى آخرها بالسجود بقوله (واسجد واقترب) ولهذا أعظم أذكار الصلاة قراءة القرآن وأعظم الأفعال السجود لله وحده لاشريك له ، قال تعالى (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) وقال (واذا قُرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون)

وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ والناس يستمعون . وكان عمر يقول لأبى موسى : يا أبا موسى ذكرنا ربنا ، فيقرأ وهم يستمعون . ومرّ النبى ﷺ بأبى موسى وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته ، وقال : يا أبا موسى مررت بك البارحة وأنت تقرأ فجعلت أستمع لقراءتك فقال : لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحبيرا ، وقال لله أشد أذنا أى استماعا الى الرجل الحسن صوته بالقرآن من صاحب القينة [1] الى قينته . وهذا هو سماع المؤمنين وسلف الأمة وأكابر المشايخ كمعروف الكرخى والفضيل بن عياض وأبى سليمان الدارانى ونحوهم ، وهو سماع المشايخ المتأخرين

---

(١) القينة : المغنية وصاحبها الذى يستمع اليها .

الأكابر كالشيخ عبد القادر والشيخ عدى والشيخ أبى مدين وغيرهم من المشايخ . وأما المشركون فكان سماعهم كما ذكر الله فى قوله (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) قال السلف : المكاء الصفير والتصدية التصفيق باليد . فكان المشركون يجتمعون فى المسجد الحرام يصفقون ويصوتون يتخذون ذلك عبادة وصلاة فذمهم الله تعالى على ذلك ، وجعل ذلك من الباطل الذى نهى الله عنه . فمن اتخذ نظير هذا السماع عبادة وقربة يتقرب بها إلى الله فقد ضاهى هؤلاء فى بعض أمرهم . وكذلك لم تفعل القرون الثلاثة التى أثنى عليها رسول الله ﷺ ولا فعله أكابر المشايخ .

وأما سماع الغنى على وجه اللعب فهذا رخص من (١) خصوصية للنساء والصبيان كما جاءت به الآثار ، فان دين الاسلام واسع لاحرج فيه ، وعماد الدين الذى لايقوم إلا به هو الصلوات الخمس المكتوبات فيجب على المسلمين من الاعتناء بها مالا يجب من الاعتناء بغيرها.

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يكتب إلى عماله ان أهم أمركم عندى الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه وأقامه ، ومن ضيعها فهو لما سواها من عمله أشد اضاعة وهى أول ما أوجبه الله من العبادات والصلوات الخمس ، تولى الله إيجابها بمخاطبة رسوله ليلة المعراج وهى آخر ما أوصى به النبى ﷺ أمته وقت فراق الدنيا جعل يقول : الصلاة الصلاة وما ملكت إيمانكم وهى أول مايحاسب

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب : فيه

عليه العبد من عمله ، وآخر ما يفقد من الدين فاذا ذهبت ذهب الدين كله وهى عمود الدين فمتى ذهبت سقط الدين ، قال النبى ﷺ « رأس الأمر وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله » وقد قال تعالى فى كتابه (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) قال عبد الله بن مسعود « اضاعتها تأخيرها عن وقتها ولو تركوها لكانوا كفارا » وقال تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) والمحافظة عليها فعلها فى أوقاتها ، وقال (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) وهم الذين لا يؤدونها حتى يخرج الوقت ، وقد اتفق المسلمون على أنه لا يجوز تأخير صلاة النهار الى الليل ولا تأخير صلاة الليل الى النهار لا للمسافر ولا للمريض ولا غيرهما لكن يجوز عند الحاجة أن يجمع المسلم بين صلاتى النهار وهى الظهر والعصر فى وقت إحداهما ، ويجمع بين صلاتى الليل وهى المغرب والعشاء فى وقت احداهما وذلك لمثل المسافر والمريض وعند المطر ونحو ذلك من الأعذار .

وقد أوجب الله على المسلمين أن يصلوا بحسب طاقتهم كما قال تعالى : (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال النبى ﷺ « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » فعلى الرجل أن يصلى بطهارة كاملة وقراءة كاملة وركوع وسجود كامل فان كان عادما للماء أو يتضرر باستعماله ، لمرض أو برد أو غير ذلك وهو محدث أو جنب تيمم

الصعيد الطيب وهو التراب الطاهر فيمسح وجهه و يديه و يصلي ولا يؤخرها عن وقتها باتفاق العلماء ، وكذلك إذا كان محبوسا أو مقيدا أو زمناً أو غير ذلك صلى على حسب حاله ، و إذا كان بأرض عدوه صلى أيضاً صلاة الخوف قال تعالى (و إذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إلى قوله : كتابا موقوتا) و يجب على أهل القدرة من المسلمين أمر كل أحد بالصلاة من الرجال والنساء حتى الصبيان قال النبي ﷺ « مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع » والرجل البالغ إذا امتنع عن صلاة واحدة من الصلوات الخمس أو ترك بعض فرائضها المتفق عليها فانه يستتاب فان تاب والا قتل ، فاذا مات فمن العلماء من يقول يقتل مرتدا كافرا لا يصلى عليه ولا يدفن بين المسلمين ، ومنهم من يقول يكون كقطاع الطريق وقاتل النفس والزانى المحصن وأمر الصلاة عظيم شأنها أعظم من أن يذكر هنا فانها قوام الدين وعموده وتعظيم الله لها فى كتابه فوق جميع العبادات، فانه سبحانه يخصصها بالذكر و يقرنها بالزكاة تارة و بالصبر تارة و بالنسك تارة كقوله (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقوله (واستعينوا بالصبر والصلاة) وقوله (فصل لربك وانحر) وقوله (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له و بذلك أمرت وأنا أول المسلمين)

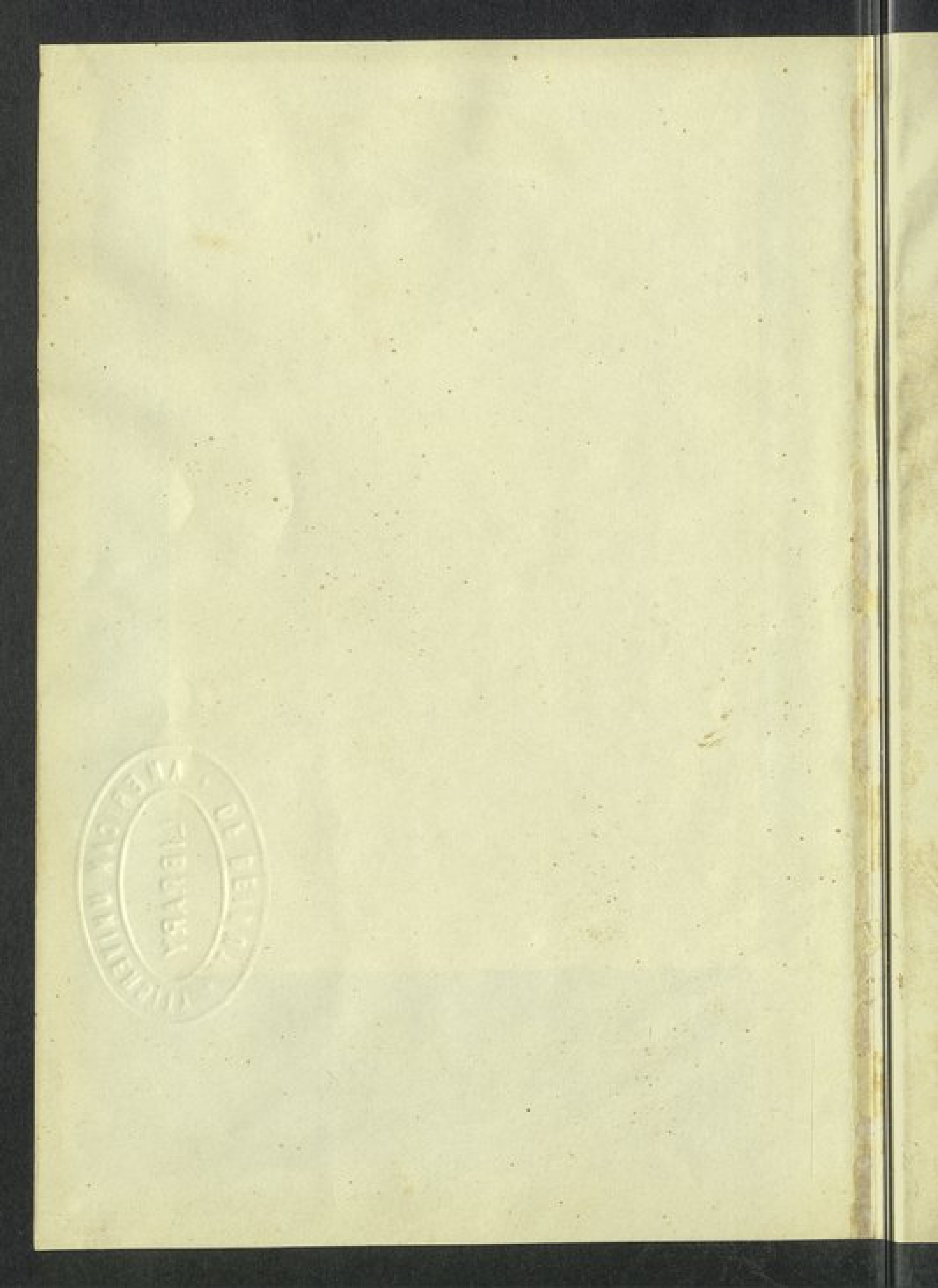
وتارة يفتتح بها أعمال البر و يختمها بها كما ذكره فى سورة سأل

سائل ، وفى أول سورة المؤمنين . قال تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون - إلى قوله - والذين هم على صلاتهم يحافظون، أولئك هم الوارثون، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)

فنسأل الله العظيم أن يجعلنا و إياكم من الوارثين، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون . ويجمع لنا ولكم وسائر اخواننا المؤمنين، خير الدنيا والآخرة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . آخرها والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله كما هو أهله وكما ينبغى لكرم وجهه .

هذا وقد كان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المستطاب ، بقلم الراجى ممن يقرأ فيه دعوة صالحة، وأن يهدى له ولسلفه الفاتحة . الفقير الى رحمة الله تعالى المذنب السيد محمد على الكيلانى الشهير بالظبيانى عفا الله عنه فى ربيع الثانى سنة ١٣٠٥ .

(الناشر) نسخ السيد محمد على الكيلانى هذه النسخة من مخطوط قديم كما ذكر ، وعثرنا على نسخته هذه فى مكتبة الأخ الفاضل الداعية السلفى المعروف الشيخ محمد المدنى الدمنهورى وقد تكرم وأذن فى طبعها حباً منه فى نشر آثار السلف الصالح فجزاه الله عنا خيراً ؟



DATE DUE


AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت